المقالة التاسعة عشرة[1]
وجوب تحمل جهة الولاء مسؤولية حماية الأمة من الأعداء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإنّ التصدّي لتحمل مسؤولية قيادة الأمّة أمر خطير لما فيه من عظيم الجزاء من ثواب لمن قام بحقها ومن عقاب لمن فرّط فيها، لأن نتيجة ذلك سوف تعود علىٰ الأمّة التي يمثلها ويتحمل مسؤوليتها إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر، وبالتالي فلا يجوز لمن لا يجد في نفسه الكفاءة العلمية والشجاعة الأدبية أن يتصدىٰ لحمل هذه المسؤولية لأنه يتسبب في إضعاف الأمّة وتمزيقها بما ينشأ عن ضعفه من جرأة المنافسين علىٰ مخالفته ومحاربته إذا لم يتمكن بسبب ضعفه من مواجهتهم ووقف تمردهم عليه بصورة أو بأخرىٰ.

ولهذا فإن أبا ذرّ الغفاري رضي الله عنه حين طلب من

---

(١) شهر رجب سنة ١٤١٥ هـ.

النبيّ ﷺ أن يسند إليه الإمارة في بعض المناطق الخاضعة لسلطان النبيّ ﷺ في الجزيرة العربية أو أن يقوم بتحمل مسؤولية عمل عام من الأعمال في الحكومة النبوية وكان رسول الله ﷺ يعرف في أبي ذرّ ضعفه عن تحمل هذه المسؤولية توجه إليه بالإرشاد والتعليم له خاصة وللأمة من خلاله عامة فضرب ﷺ علىٰ كتف أبي ذرّ بيده الشريفة وقال له: (يا أبا ذرّ إنك ضعيف وإنها لأمانة وإنها لخزي وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها وأدىٰ ما عليه فيها)[1].

فمن أراد أن يتصدّىٰ لحمل مسؤولية عمل من الأعمال العامة في أي مجال من مجالات الحياة سواء كان في المجال السياسي أو المجال الاجتماعي أو المجال الاقتصادي أو المجال الثقافي أو المجال التعليمي أو المجال العسكري أو غير ذلك فإنه يعرّض نفسه للخزي والعار يوم القيامة إذا كان يعلم من نفسه عدم الكفاءة المادية والأدبية وأصرّ علىٰ مواصلة السعي إليها أو علىٰ مواصلة تحملها بعد أن تسند إليه إذا وجد في نفسه ضعفاً

---

(١) رواه مسلم، انظر مختصر مسلم للمنذري ج ٢ ص ٨٨ كتاب الإمارة، باب كراهية طلب الإمارة والحرص عليها رقم الحديث ١٢٠٤.

ذاتياً عن أداء ما يجب عليه فيها، وأما إذا كان الضعف عن القيام بها ناشئاً عن عدم تعاون الآخرين معه ورأىٰ أنّ تخليه عنها قد يفسح في المجال للمفسدين أن يصلوا إلىٰ ذلك الموقع فلا يجوز له التخلي عنه وعليه أن يقاوم الضغوط ويبذل المحاولات لاستقطاب الصالحين من أهل الخير ليشاركوه في تسيير دفة القيادة ويعينوه في تحمل المسؤولية ويحرم عليهم الامتناع عن ذلك.

ومن هنا وجب عليه أن يكون دائم التفتيش عن المخلصين والصادقين من ذوي الكفاءة والقدرة ليسند إليهم المسؤوليات فقد ورد في الحديث (من استعمل رجلاً من عصابة ـ أي بسبب كونه من قرابته وعصبته ـ وفيهم من هو أرضىٰ لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين)[1]. وعندما أرسل أبو بكر يزيد بن أبي سفيان إلىٰ الشام والياً قال له: يا يزيد إنّ لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله ﷺ: (من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمَّر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله

---

(١) رواه الحاكم من طريق حسين بن قيس عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً وقال: صحيح الإسناد واختلف في حسين. انظر الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٧٩ باب الترهيب من ولي شيئاً من أمور المسلمين أن يولي عليهم رجلاً وفي رعيته من هو خير منه رقم ١.

لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتىٰ يدخله جهنم)[1].
فعلىٰ جهة الولاء أن تتحمل مسؤولية العناية بأبنائها والحماية من أعدائها وعلىٰ الأمّة إعانتها في ذلك.

obeikandl.com

(١) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. انظر الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٧٩ رقم الحديث ٢.